غير ذاكر شيئاً عن علاقته بأتيت قالون معشوقته للمعهودة

أما «النزهة» ففيها يحلق الشاعر ويسمو في عالم الروحيات إذ هي مجلى تأملاته في الفلسفة والاجتماع وعلم النفس والصوفية، وفيها يطرق شتى الموضوعات العلمية البحتة، كتركيب العقل ونشوئه، وفلسفة العواطف، والتأمل؛ غير أنه يكسوها حلة من الخيال، ويعبر عنها بأبسط التراكيب وأسلس العبارات وأوضحها، هذا إذا ضربنا صفحاً عن جنوحه في بعض الأحيان إلى الغموض في المعنى. «والنزهة» تقع في تسعة أجزاء مقتضبة، كل فصل منها حاو لقسم من أقسام القصة التي يسردها ويجعلها هيكل هذه القصيدة الكبرى

وهو في جميع مباحثه هذه لا يتوخى غير الصدق واظهار عظمة الخالق. أما مداز بحثه في هذه المواضيع فنفسه، لا لأنه صنع من جبلة غير التي صنع منها سائر البشر، بل لأنه أكثر علماً بنفسه من غيرها من النفوس

ولقد أثارت نظريته هذه وأشعاره جدلاً عنيفاً وبحثاً متواصلاً في البيئات الأدبية، فمن الأدباء من حمل عليه وطعن فيه، ومنهم من انتصر له. ومن الذين انتقدوه فرنسيس جفري وبيرون وهزلت، ومنهم أيضاً صديقه كولردج في فصل من كتابه (تراجم أدبية)، بيد أنه لم يكن هدّاماً في نقده ولا شديد التحامل عليه في تعليقه على آرائه كغيره من النقاد. أما إمرسن الكاتب الأمريكي الشهير فينتصر له، ويعدّ قصيدته «خواطر في الخلود من ذكريات الطفولة» التي تمثل عقيدة شاعرنا الفلسفية ونظريته الأدبية بعض التمثيل، من أروع بل أروع ماخلّفه لنا أدباء القرن التاسع عشر من القصائد. ولقد كان ديوان ورد زورث معواناً للفيلسوف الانكليزي الشهير جون ستوارت مِلْ على تخلصه في ربيع حياته من السوداء التي كانت تلازمه من حين إلى آخر، إذ وجد في قراءة القصائد الفلسفية والدينية منها راحة وعزاء بل خير شفاء له من دائه النفساني

ومؤرخو الأدب الانكليزي يجعلون السنة التي ظهر فيها ديوان وود زووث لأول مرة، أي سنة ١٧٩٨، فاتحة العصر الابتداعي، لأن أشعاره تمثل الحركة الابتداعية من الناحية الأدبية خير تمثيل. ولكي يتضح لنا معنى هذا القول علينا أن ننظر بعض النظر في خواص هذه الحركة، وخصوصاً الناحية الأدبية منها

(البقية في العدد القادم)

مرسي القوسي

في اللغة والأدب

المثنيات

للأستاذ محمد شفيق

إن من خصائص اللغة العربية التي امتازت بها على غيرها من اللغات الحية هذه المثنيات[1]. وقلما يخلو علم من علوم لغة الضاد من مثنيات إن قليلة أو كثيرة. وقد رأيت أن أقدم إلى قراء «الرسالة الغراء» أمثلة منها مرتبة على العلوم، مبتدئاً بالأدب واللغة لشدة علاقتهما بالرسالة، وإن كانت هي حفية بالثقافات الاسلامية والعربية وغيرها:

المثنيات في اللغة والأدب والنحو والصرف

(الابردان) الغداة والعشيّ، والظل والفيء، وفي الصحاح: الابردان: العصران. (الأبيضان) اللبن والماء، أو الشحم واللبن، أو الشحم والبياض، أو الخبز والماء، أو الحنطة والماء، أو اللحم والخبز، قال الشاعر:

ولكنه يأتي إلى الحول كاملاً ... ومالَ إلا الأبيضينِ شَرابُ

(الأجدّان) الليل والنهار، وكذلك الجديدان، والداثيان والطريدان، والعصران، والملوان، والأحدثان، والأصرمان.

(الأحران) الخمر واللحم، وفي المثل «أفسدَ الناسَ الأحران» قال الشاعر:

(١) وقسموا المثنى إلى نوعين: المثنى الحقيقي وهو مشهور، والمثنى التغليبي وهو تغليب احد المتجاورين والمتشابهين على الآخر فيجعل الآخر مسمى باسمه ثم يثنى ذلك الاسم قصداً إليهما جميعاً، والتغليب يكون تارة للشرف وأحياناً للشهرة وآونة للخفة كالعمرين لأبي بكر وعمر، والقمرين للشمس والقمر. قال الزجاجي ... قال المفضل الضبي ... وجه إلى الرشيد فخرجت حتى صرت إليه ... فقال يا مفضل عندك مسألة تسأل عنها، قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

قال قد أفادنا هذا قبلك هذا الشيخ — يعني الكسائي وكان في المجلس — لنا قمراها يعني الشمس والقمر كما قالوا سنة العمرين يريدون أبا بكر وعمر، قلت ثم زيادة يا أمير المؤمنين، قال زد قلت: قل استحسنوا هذا؟ قال لأنه إذا لمجتمع اسمان من جنس واحد وكان أحدهما أخف على الأفواه غلبوه ... قال قلت قد بقيت مسألة أخرى، فالتفت إلى الكسائي وقال: أفي هذا غير ماقلت؟ قلت: بقيت الغاية التي أجراها الشاعر المفتخر في قوله، قال: وما هي؟ قلت: أراد بالشمس ابراهيم خليل الرحمن، وبالقمر محمداً صلى الله عليه وسلم، وبالنجوم الخلفاء الراشدين؛ فسر وأمر له بجائزة عظيمة.

إن الأحامرة الثلاثة أهلكت ... مالي وكنتُ بهنَّ قِدماً مولعا
الرَّاح واللحم السمين وأطلي ... بالزعفران فلا أزال مُوَلعا

(الأخضران) النباتان القريب والبعيد، لأنَّ القريبَ أخضر حقيقةً، والبعيد كما قالوا أسود؛ والأسودُ عند العرب أخضر، يقال فلانٌ أخرق الأخضرين: يراد المبالغة في ظلمه وتعديه، كأنه يوصلُ الشرَّ إلى القريب والبعيد. وقيل الأخضران: النبات والانسان من العرب؛ قال الفضل بن العباس:

وأنا الأخضرُ من يعرفني ... أخضر الجلدةِ من نسل العربْ

(الأصرمان) الذئب والغراب لأنهما انصرما عن الناس، أي انقطعا، قال:

ومومأة يحارُ الطرفُ فيها ... إذا امتنعتْ علاها الأصرمان

(الأعميان) السيل والفحل، والسيل والحريق، والسيل والليل، والسيل والجمل الهائج: لأنها لا تتقي موضعاً ولا تتجنب شيئاً كالأعمى الذي لا يدري أين يسلك فهو يمشي حيث ذهبت رجله

(البازيان) الأعشى وجرير. كان أبو عمرو بن العلاء يقول: الأعشى وجرير بازيان يصيدان ما بين العندليب إلى الكركي

(البردان) الغداة والعشي، قال ابن خالويه: حدثنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: دعا أعرابيٌّ لرجلٍ فقال: أذاقك الله البردين — يعني بردَ الغنى وبردَ العافية — وأماط عنك الأمرَّين، يعني مرارة الفقر ومرارة العرى، ووقاك شر الأجوفين، يعني فرجه وبطنه

(الحكيمان) أبو تمام والمتنبي: سئل أبو العلاء عنهما وعن البحتري فقال: هما حكيمان والشاعر البحتري، كأنه يريد أنهما ينتزعان المعاني من كلام الحكماء ويراعيان الصناعات الشعرية التي أحدثها المتأخرون، وأما البحتري فانه يجري على عادة العرب في ترك التكلف واختراع المعاني

(الخالدان) هما خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان، وخالد بن قيس بن المضلل بن مالك، قال الشاعر:

فقبلَ ملتَ الخالدانِ كلاهما ... عميدُ بني جحوان وابنُ المضلل

(الخالديان) هما أبو بكر وأبو عثمان ابنا هاشم الشاعران المشهوران، قال الصابي:

أرى الشاعرين الخالديين تشرَّرا ... قصائدَ يفنى الدهرُ وهي تقيدُ
تنازعَ قومٌ فيهما وتناقضوا ... وَمرَّ جدالٌ بينهم وتردُّدُ
فطائفةٌ قالتْ سعيدٌ مُقدم ... وطائفةٌ قالت لهم بل محمدُ
وصار الى حكمي فأصلحتُ بينهم ... وما قلتُ إلا بالتي هي أرشدُ
هما لاجتماع الفضل روحٌ مؤلف ... ومعناهما من حيث أُلفيت مفردُ
كما فرقدا الظلماء لما تشاكلا ... علاءً أشكا ذاك أم ذاك أبعدُ
فزوجهما ما مثله في اتفاقه ... وفردهما بين الكواكب أوحدُ
فقاموا على صلح وقام جميعهم ... رضياً وساوى فرقدَ الأرض فرقدُ

(السيبان) هما عند علماء العروض خفيف، وهو حرفان ثانيهما ساكن، وثقيل وهو حرفان متحركان

(الصادان) هما الصاحب بن عباد والصابي، قال أبو الحسن البنداري: أكتب أهل العصر الصادان

(الجرادتان) هما قينتا معاوية بن بكر أحد العاليق واسمهما بعاد وثماد، وبهما ضرب المثل «ألحن من الجرادتين»[1]

(الصناعتان) هما عند الأدباء صناعة الشعر وصناعة النثر، وللبلغاء فيهما مؤلفات كثيرة، وأما الصنعتان في قول الوراق يرثي أبا الحسين الجزار:

يا عيدنا الأضحى سقى ... صوبُ الغمام أبا الحسينِ
لو عاشَ فيك لقد غدا ... يشكو بوارَ الصنعتينِ

فالمراد بهما صنعة الجزارة لعدم من يتقدم إلى الله بالاضاحي، وصنعة الشعر لعدم الكرماء

(الفاصلتان) هما عند العروضيين صغرى، وهي ثلاثة أحرف متحركات على التوالي يعقبهن ساكن، وكبرى، وهي ما تجمع أربعة أحرف متحركة على التوالي يعقبهن ساكن

(رهين المحبسين) هو أبو العلاء المعري، سمى نفسه بذلك وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقاً، فأراد بأحد المحبسين البيت وبالآخر العمى

(ملكا الشعراء) هما امرؤ القيس وأبو فراس الحمداني، قال الصاحب بن عباد: بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس

(فملا المدح والذم) و (جمعا التصحيح) و (اجتماع الساكنين على حدة) و (اجتماع الساكنين على غير حدة) عند النحويين مشهورة[2]

محمد شفيق

(١) تفصيل خبرهما عند المحبي في «جنى الجنتين» في صفحة كبيرة
(٢) وقد أسهب المحبي في الكلام عليها بما لا يوجد بعضه في كثير من كتب النحو